



قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552



الرسالة الدعوية أصولها وآدابها رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل نموذجاً

The Prophetic Message Its Origins and Etiquette, The Message of the Prophet (S.A.W) to Hercules as a Sample

د. عبد الحميد بن عبد السلام بنعلي¹

¹ كلية الشريعة والقانون، جامعة الجوف، الجوف - المملكة العربية السعودية

Key words:

*The Prophetic Message The
Messages of the Prophet
Mohammed S.A.S*

*Message of the Prophet
Mohammed to Hercules The
Da'awah message*

The Message.

Abstract

This study revolves around one of the most important means of Islamic call (Da'wah): the message, in terms of ethics and origins from the guidance of the Quran and the Sunnah of the Prophet in the call to Islam (Da'wah), and the message of the Prophet (S.A.W) to Hercules great Byzantine state as a sample of these essential and good literature, and It aims to achieve a number of objectives, includes;

1. The definition of the Da'awah message and Islamic call, and the explanation of its ethics and origins.
2. Awareness of Islamic callers about the importance of message as a method of Islamic call (Da'wah), and its utility and benefit.
3. Study some of the Prophet's letters to the kings and nations in which serves the subject of the study.

This study concluded that the method of correspondence is one of the most important methods of calling to Islam, and it is useful to achieve the goal away from the symptoms noise and anger and arbitrariness that occur during the dialogue and religious debates.

The study also concluded that: there is a definite need to learn the basics of the Islamic call message,

ملخص

تدور هذه الدراسة حول واحدة من أهم الوسائل الدعوية، وهي: الرسالة، من حيث آدابها وأصولها انطلاقاً من هدي القرآن والسنة النبوية الشريفة في الدعوة إلى الإسلام، وكانت رسالة النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الدولة البيزنطية نموذجاً لهذه الأصول والآداب الحميدة، وهي ترمي إلى تحقيق جملة من الأهداف منها: التعريف بالرسالة الدعوية وبيان آدابها وأصولها. تبصير الدعاة بأهمية الرسالة كأسلوب دعوي عظيم الجدوى والمنفعة. دراسة بعض رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمم المخالفة فيما يخدم موضوع الدراسة. وأخيراً: إثراء الدراسات الدعوية ومحاولة إضافة ما هو جديد في هذا المجال من وجهة نظر الباحث. وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن أسلوب المراسلة من أهم أساليب الدعوة إلى الإسلام، وأنه خليق بتحقيق المقصود بعيداً عن العوارض التي تطرأ على المجالس الحوارية والمناظرات الدينية من الصخب والغضب والتعسف. كما خلصت الدراسة بإزاء ذلك إلى وجود الحاجة الأكيدة لتعلم أساسيات الرسالة الدعوية وترويج العمل بها بين المهتمين بالعمل الدعوي وتوعية غير المسلمين بالإسلام.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال: 2020-01-06

القبول: 2020-05-18

الكلمات المفتاحية:

الرسالة الدعوية

رسائل النبي ﷺ

رسالة النبي إلى هرقل

الدعوة

الرسالة.

1- مقدمة

تساؤلات الدراسة

- 1- ما الرسالة الدعوية؟
- 2- ما أهمية الرسالة الدعوية؟
- 3- ما هي أصول وآداب الرسالة الدعوية؟
- 4- ما المضامين الدعوية والتربوية في رسالة النبي ﷺ إلى هرقل؟

الدراسات السابقة

الواقع أن هناك جملة من الأبحاث والمقالات حول وسائل الدعوة وأصولها، وهي منشورة ومتداولة بين الناس⁽¹⁾، إلا أنني لم أر من تكلم ببحث مستقل عما سميت بالرسالة الدعوية، فرأيتها فرصة سانحة للكتابة فيها، والله الموفق.

منهج البحث

اعتمدت هذه الدراسة على منهجين أساسيين، وهما:

- 1- المنهج التاريخي الذي يعني: "إعادة الماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها، ومن ثم تمحيصها، وأخيراً تأليفها ليتم عرض الحقائق أولاً عرضاً صحيحاً في مدلولاتها وفي تأليفها، وحتى يتم التوصل حينئذ إلى استنتاج مجموعة من النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة"⁽²⁾، ويتجلى هذا المنهج في الأمثلة التاريخية التي برهن بها الباحث على مجمل الأفكار والبرامج الدعوية المقترحة.
- 2- المنهج الوصفي الاستنباطي، وهو: "الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة"⁽³⁾، ويتجلى هذا المنهج في استنتاج الأفكار والبرامج الدعوية من خلال الأدلة المعتبرة وأقوال العلماء المعتبرين.

أما ما يتعلق بالإجراءات العلمية لبحث مسائل الدراسة فإني اتبعت الخطوات التالية:

- 1- عزو الآيات القرآنية إلى سورها في القرآن الكريم مع ذكر أرقامها في المصحف، وكتابتها بالخط العثماني.
- 2- عزو الأحاديث والآثار إلى مظانها المعتبرة مع بيان درجتها من الصحة والضعف إلا أن تكون في الصحيحين أو أحدهما فإني أكتفي بالعزو إليهما.
- 3- دعم النظريات الواردة في الدراسة بأدلة القرآن الكريم وهدى النبي ﷺ.
- 4- توثيق نقول الدراسة بعزوها إلى مؤلفات أصحابها أو إلى من نقل عنهم.
- 5- اكتفيت في توثيق النصوص بذكر المصادر ومؤلفيها، وأذكر كامل البيانات في قائمة المصادر اختصاراً.
- 6- أرخت لوفيات الأعلام عند أول ورودهم غالباً إلا أن يكون

الحمد لله الذي كرمنا بالإسلام، وهدانا لاتباع خير الأنام، سيدنا محمد عليه وعلى سائر الأنبياء أفضل صلاة وأزكى سلام.

أما بعد: فقد شئت قدرة الله تعالى وحكمته أن يكون الناس مختلفين في أديانهم ونحلهم ومذاهبهم ﴿ولو شاء ربك لجلد الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين (118)﴾ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴿هود: 118-119﴾، غير أن الله سبحانه أوجب على المسلمين القيام بواجب الدعوة تجاه مخالفيهم: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ [سورة النساء: 165]، ودعوة المسلم لغيره تنطوي على قيم أخلاقية نبيلة ومقاصد ربانية عظيمة، فهي دالة بجوهرها على حب المسلم لأخيه الإنسان، وحرصه على نصحه وهدايته والعمل على تجنبه سوء العاقبة.

على أن من المقاصد العظمى للدعوة الإسلامية تعريف غير المسلمين بحقيقة الإسلام وسماته وأهم قواعده وأحكامه ولو لم يرج إسلام المدعويين؛ إذ في ذلك إبراء الذمة، وإقامة الحجة، وتصحيح الصورة المغلوطة عن الإسلام في أذهان المدعويين.

والدعوة إلى الله تعالى لها وسائل عديدة، منها: الرسالة المكتوبة، وهي وسيلة قديمة جديدة استعملها النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون، واستمر عليها العمل إلى هذا اليوم، وهذا النوع من الرسائل له جملة من الآداب والأحكام التي يجب رعيها على الكاتب والمرسل حتى تؤدي غرضها الصحيح على أتم وجه وأحسنه.

ولم أر بحسب علمي من أفردا بتأليف أو بحث مستقل فأحببت أن أشارك في ذلك بهذه الدراسة اللطيفة، والله من وراء القصد.

أهمية الدراسة ومبرراتها

1- ما للدعوة إلى الإسلام من أهمية كبرى؛ كونها فرضاً على هذه الأمة، ومناط تفضيلها على سائر الأمم، ولأنها طريق لدلالة الناس على الخير، وتحذيرهم من مغبة الكفر وعواقبه الخطيرة.

2- أهمية الرسالة الدعوية في نفسها، لما تحققه من نفع للداعي والمدعو والدعوة، فهي تحفظ جهد الداعي من الضياع، وهي تعطي فرصة أكبر للمدعو أن يتأمل ويتفكر، وتبقى في حوزته يعود إليها كلما تآقت لها نفسه، وهي أيضاً مجدية للدعوة؛ لما يكون فيها من رونق وأدب، وبعد عن موجبات الصخب والغضب.

3- أن هذا العصر الذي نعيشه هو عصر الرسائل والرددشة، فاقتضى الحال بيان أهمية الرسالة الدعوية وأصولها وآدابها؛ نفعاً للمدعويين، وتثقيفاً للداعين، والله من وراء القصد.

4- أن هذه الدراسة تستمد أصولها ومجمل أفكارها من رسائل النبي ﷺ إلى الملوك وعظماء الأمم، وذلك كاف في إثبات أهميتها.

العلم مشهوراً جداً، وربما ترجمت لبعض الأعلام المغمورين.

خطة البحث

تشتمل هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة: المقدمة، تشمل: الافتتاحية، أهمية الدراسة، تساؤلات الدراسة، الدراسات السابقة، منهج البحث، خطة البحث.

التمهيد/ الدعوة إلى الإسلام، ماهيتها، حكمها، أهميتها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الدعوة إلى الإسلام.

المبحث الثاني: الحكم التكليفي للدعوة إلى الإسلام.

المبحث الثالث: أهمية الدعوة إلى الإسلام.

الدراسة: الرسالة الدعوية أصولها وآدابها ... وفيها أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الرسالة الدعوية.

المبحث الثاني: مشروعية الرسالة الدعوية.

المبحث الثالث: أهمية الرسالة الدعوية.

المبحث الرابع: أصول وآداب الرسالة الدعوية انطلاقاً من رسالة النبي ﷺ إلى هرقل.

تمهيد: الدعوة إلى الإسلام، ماهيتها، حكمها، أهميتها

المبحث الأول: تعريف الدعوة إلى الإسلام

الدعوة في لغة العرب: اسم مصدر دعا يدعو دعاء، ولها في لسان العرب معان عديدة أشهرها: النداء والحث والطلب والرجاء، ومرجعها جميعاً إلى أصل واحد، وهو: "أن تُميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاء ودعوة"⁽⁴⁾.

والدعوة في الاصطلاح هي: "نشر الإسلام وتبليغه للناس على علم وبصيرة وفق الطرق المشروعة، اتباعاً لهدى النبي ﷺ، وابتغاء لرضا الله عز وجل وثوابه"⁽⁵⁾.

المبحث الثاني: الحكم التكليفي للدعوة إلى الإسلام

الدعوة إلى الله تعالى في أصلها واجبة على الأمة وفرض لازم إما على وجه الكفاية وإما على التعيين في كل شخص بحسب علمه وحاله على الخلاف في ذلك⁽⁶⁾.

قال أبو بكر الجصاص: (ت370هـ): "أكد الله تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع من كتابه، وبينه رسول الله ﷺ في أخبار متواترة، وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه وإن كان قد تعرض أحوال من التقية يسع معها السكوت"⁽⁷⁾.

ومستند هذا الحكم: أدلة الكتاب والسنة، وهي كثيرة ومتنوعة:

فمن دلائل الكتاب: الآيات التي فيها أمر بالدعوة إلى الإسلام، كقول الله تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ [يوسف:108]، وقوله سبحانه: ﴿ولكن منكم أمة يدعون

إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران:104].

وكذلك الآيات التي فيها بيان وظيفة النبي ﷺ الدعوية كقوله تعالى: ﴿قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ [الأعراف:158]، وقوله تعالى: ﴿وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ [الأنعام:19]، وقوله سبحانه: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ [سبأ:28]، وقوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ [الفرقان:1].

وسائر الآيات التي فيها الأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دالة بعمومها على وجوب الدعوة إلى الله سبحانه، لأنها جزء منه وهي بعضه كقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران:110].

ومن دلائل السنة: قول النبي ﷺ: "بلغوا عني ولو آية"⁽⁸⁾.

وقوله عليه الصلاة والسلام: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً"⁽⁹⁾.

وفعله ﷺ أدل على الوجوب من قوله: إذ قضى عمره عليه الصلاة والسلام داعياً ومبشراً ونذيراً، وانتقل إلى الرفيق الأعلى وجيشه بقيادة أسامة بن زيد رضي الله عنه مجهز لتبليغ الإسلام إلى الشام⁽¹⁰⁾.

وهذا الحكم أعني الوجوب إنما هو في الجملة، وذلك حيث تنتفي الأعذار، ويتعين على الداعي تبليغ الدين وعدم الضن به على الناس، وإلا فقد تعرض للدعوة أحوال تخرجها عن دائرة الوجوب إلى الاستحباب، وربما توجه المنع منها كالحال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومدار هذه الأحوال - كما يقول الإمام الشاطبي (ت:790هـ) - على تقدير المصلحة والمفسدة الشرعيتين، "فإنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤدّ ذكرها إلى مفسدة، فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها إماماً على العموم وإماماً على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المسأغ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية"⁽¹¹⁾.

وللإمام ابن تيمية (ت:628هـ) تفصيل حول هذه الأحوال يقول عنها: "فالعالم تارة يأمر، وتارة ينهى، وتارة يبيع، وتارة يسكت عن الأمر أو النهي أو الإباحة؛ كالأمر بالصالح الخالص أو الراجح، أو النهي عن الفساد الخالص أو الراجح، وعند التعارض يرجح الراجح بحسب الإمكان، فأما إذا كان المأمور والمنهي لا يتقيد بالممكن إما لجهله وإما لظلمه، ولا يمكن إزالته جهله وظلمه، فربما كان الأصلح الكف والإمساك عن أمره ونهيه، كما قيل: إن من المسائل مسائل جوابها السكوت، كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر بأشياء والنهي عن أشياء، حتى علا الإسلام وظهر، فالعالم في البيان والبلاغ كذلك قد يؤخر

لم يدعه أحد؛ فإنه يرى معالم الفطرة التي تركز إليها نفسه، فيعجبه ذلك لا محالة، يرى العفة والطهر والحياء، ويرى الدين والصدق والوفاء، ويرى التضحية والصبر والمواصلة، فأنى له أن لا يراجع نفسه، ولا يثوب إلى رشده ٩.

ومن هنا نجد كثيراً من المسلمين حين يمن الله عليه بزيارة البقاع المباركة في مكة والمدينة يقرر التوبة إلى الله والإنابة إليه، ويشهد على نفسه بأنه كان في ضلال مبين، مع أنه قد سمع قبل ذلك عشرات الخطب، وألقيت عليه كلمات ومواظ، ولكن كما يقال: ليس الخبر كالمعاينة.

2. مراعاة البعد الأمني لدول العالم الإسلامي

إن دول العالم الإسلامي تواجه منذ نشأتها حقداً أعمى ممن لا يدين بالإسلام، وقد تشكلت تلك الأحقاد في مجموعة من الحروب والدسائس والمكر الظاهر والباطن، ونحن على يقين تام بأن السبب الأول والأخير لذلك هو تبني هذه الدول لنصرة الإسلام وقضاياه، وانتماء غالبية مواطنيها للإسلام، فلا جرم أن تواجه بمثل هذا العداء؛ فإن عداوة الباطل للحق قديمة قدم الحق والباطل.

وفي هذا السياق، فإنه من المهم جداً دعوة الجاليات المقيمة في هذه الدول وبالأخص الجاليات الغربية إلى الإسلام؛ لأن ذلك يشكل بعداً أمنياً لهذه الدول؛ فإنه لو قدر أن هذه الجالية سيما المثقفين منهم قد أسلموا وحسن إسلامهم فالنتيجة أنهم سيشكلون ثقلًا أمنياً للدولة التي يقيمون في جناباتها، سواء بأصواتهم الانتخابية، أو بإنتاجهم الفكري، أو حتى بمجرد أن يكون بعض أبناء هذه الدول المعادية لدول العالم الإسلامي على غير سبيلها وملتها، ولا ينبغي أن يستهان بهذه القضية فالرجل الواحد قد يحدث رأيه معادلة في الموازين، وقد يدفع الله به من البلاء ما لا يندفع بالجم الغفير من الناس.

وثمة وجه آخر للبعد الأمني في هذه القضية، وهو أننا كثيراً ما قرأنا وسمعنا عن وجود عدة عمال وموظفين أجانب ينتمون إلى أحزاب ومنظمات دولية تهدف إلى زعزعة الثوابت والعقيدة الإسلامية في صفوف أبناء دول العالم الإسلامي، وحين يتحول هؤلاء إلى مسلمين جدد فمن شأن ذلك أن يدفع شرهم، ويكشف من وراءهم من تلك المنظمات الاستخباراتية الخطيرة.

الدراسة - الرسالة الدعوية أصولها وآدابها ...

المبحث الأول: تعريف الرسالة الدعوية

الرسالة في اللغة اسم مصدر أرسل إليه يرسل، والمصدر: الإرسال، ومادة الكلمة تدور حول الانبعاث والامتداد والإطلاق، يقول ابن فارس (ت: 395هـ): "الراء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد، فالرسل: السير السهل، وناقطة رسل: لا تكلفك سيقا، وناقطة رسل: أيضاً؛ لينت المفاصل، وشعر رسل، إذا كان مسترسلا، والرسل: ما أرسل

البيان والبلاغ لأشياء إلى وقت التمكن كما أخر الله سبحانه أنزال الآيات وبيان الأحكام إلى وقت تمكن رسول الله ﷺ من بيانها" (12).

المبحث الثالث: أهمية الدعوة إلى الإسلام

إن لدعوة الناس إلى الإسلام أهمية كبرى ونفعاً عظيماً على الدعاة والمدعوين بل على العالم أجمع: فإن الدعوة في حقيقتها سعي لإنقاذ الناس من خزي الله وأليم عقابه، وإخراجهم من ظلمات الشرك والوثنية إلى نور الإسلام وهدايته ورحمته، وما يترتب على إسلام الكافر من المنافع يعم المسلمين وغيرهم، بل يمتد إلى الحيوان والجماد والنبات، فإن الإسلام كفل حقوق كل من هو في هذا العالم، ونظم العلاقة بين الإنسان وما حوله خير تنظيم، واشتهار ذلك يغني عن الإسهاب في بسطه.

هذا بالإضافة إلى النفع المتمثل في الأجور الكثيرة التي خص الله بها الدعاة، ويكفي منها أن من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء كما قال النبي ﷺ (13)، وهذا لعمرى فضل عظيم يحدو ذوي الغيرة على الدين والرغبة فيما عند أكرم الأكرمين إلى أن يبذلوا في سبيل ذلك الغالي والنفيس، وقد قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه حين أمره على سرية إلى خيبر: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم" (14).

وإذا ما كان المقصود بالدعوة إلى الإسلام تلك الجالية غير المسلمة المقيمة بين المسلمين، فإن دعوتهم لها أهمية أخرى تضاف لما تقدم، وهي على الإجمال تتجلى فيما يلي:

1- وجود البيئة الإسلامية

إن البيئة الإسلامية تعني تحقق الإسلام في حياة الدولة والمجتمع، وامتنال الناس لقيمته ومبادئه وشرائعه على نحو لا يشذ عنه إلا القليل النادر، وهذه البيئة متوفرة في دول العالم الإسلامي أكثر من توفرها في أي دولة أخرى غير مسلمة، ويظهر ذلك في عدة أمور: منها: تحلي الناس في الجملة بأخلاق الإسلام، ووجود أعراف إسلامية ظاهرة، ووجود نظام تعليمي إسلامي مهيم على سائر المراحل التعليمية في كثير من دول العالم الإسلامي، مع توفر الجامعات الإسلامية التي تعنى بالتخصصات الشرعية الدقيقة، هذا إلى التزام جمهور الناس بالصلوات في أوقاتها مع الجماعة (15)، واحترام شعائر الدين وشرائعه الخ.

وهذه البيئة الإسلامية أقوى ما تكون داعية إلى الإسلام ومجانبة الفسق والكفران؛ ووجه ذلك: أن الإنسان قد يقرأ عن الإسلام، ويسمع عنه، ويشاهد برامجه في القنوات الإعلامية من دون أن يتأثر به ذلك التأثر، ولكنه حين يشاهد معاملة، ويعيش بين أهله، ويخضع لسلطانه، فلن يمنعه من الإسلام إلا قدر سابق بشقائه عياداً بالله، وإلا فمثله حري به أن يسلم ولو

الآتي:

أولاً: أدلة القرآن الكريم

1- إرسال الكتب السماوية إلى الرسل، وهذا هو الأصل في وحي الله إلى رسله وأنبيائه، قال ربنا سبحانه: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾ [الشورى: 51].

2- إخبار الله تعالى في كتابه في آيات عديدة أنه أكرم جملة من الرسل عليهم السلام بالكتب والرسائل، فأُنزل الصحف على إبراهيم، والزبور على داود، والتوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والقرآن على محمد ﷺ، وذلك في قوله: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى (18) صحف إبراهيم وموسى (19)﴾ [الأعلى: 18-19]، وقوله: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأُمم يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء: 105]، وقوله: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾ [الأعراف: 145]، وقوله: ﴿الر (1) الله لا إله إلا هو الحي القيوم (2) نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل (3) من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام (4)﴾ [آل عمران: 1-4]، وبالجملة فكتب الله تعالى ورسائله إلى أنبيائه كثيرة لا يعلمها إلا ربنا سبحانه (18).

3- قول الله تعالى: ﴿قَالَ سَتَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلِّقْهُ لِيَهُمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِني أَلْقِي إِلَيَّ كِتَابَ كَرِيمٍ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَا تَعْلَمُونَ أَنِّي مُسْلِمٌ (31)﴾ [النمل: 27-31].

في هذه الآية الكريمة إخبار من الله تعالى عما كان من شأن نبيه سليمان عليه السلام مع طائر الهدى الذي نقل إليه خبر سجد ملكة اليمن وقومها للشمس وعبادتهم لها من دون الله سبحانه، فكلفه بإيصال رسالة دعوية يدعوهم فيها إلى الإسلام والاستسلام والدخول في طاعته (19).

ثانياً: أدلة السنة النبوية

كان من جملة الوسائل التي استعملها النبي ﷺ في دعوة الأمم وعظمتهم إلى الإسلام وسيلة الرسائل، وقد قام بذلك مع جملة من الملوك والعظماء حين استقراره بالمدينة المنورة (20)، روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: «أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى» (21).

وقال ابن إسحاق (ت: 151هـ): «بعث رسول الله ﷺ رسلاً من أصحابه، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام: فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية،

من الغنم إلى الرعي، والرسول: اللبن؛ وقياسه ما ذكرناه، لأنه يترسل من الضرع، ورسيل الرجل: الذي يقف معه في نضال أو غيره، كأنه سمي بذلك لأن إرساله سهمه يكون مع إرسال الآخر، وتقول جاء القوم أرسالاً: يتبع بعضهم بعضاً؛ مأخوذ من هذا: والرسول معروف، وإبل مراسيل: أي سراع، والمرأة المراسل: التي مات بعلمها فالخطاب يرأسونها، وتقول: على رسلك، أي على هينتك؛ وهو من الباب لأنه يمضي مرسلًا من غير تجشم، واسترسلت إلى الشيء: إذا اتبعته نفسك إليه وأنست، والمرسلات: الرياح، والراسلان: عرقان (16).

والرسالة تطلق على الخطاب المكتوب المبعوث به إلى المرسل إليه، وقد تطلق تجوزاً على كل شيء يرسل إلى الغير، وتطلق أيضاً على كتاب يشتمل على قليل من المسائل تكون في موضوع واحد، وعلى بحث مبتكر يقدمه الطالب الجامعي لنيل شهادة عالية، وهذا عرف حادث، وإذا أضيفت الرسالة إلى النبي، كان المراد بها: ما أمر بتبليغه عن الله ودعوته الناس إلى ما أوحى إليه، ورسالة المصلح ما يتوخاه من وجوه الإصلاح (17).

والرسالة الدعوية: يمكن أن نعرفها بأنها: "الخطاب المكتوب المتضمن دعوة المرسل إليه إلى الإسلام"، فخرج بالخطاب ما ليس بخطاب كالإشارات والرموز الدالة ونحو ذلك، وبالمكتوب: الخطاب الشفوي، فلا يسمى رسالة إلا تجوزاً، وخرج بقيد: "المتضمن دعوة المرسل إليه إلى الإسلام" سائر الرسائل التي لا يكون مضمونها الدعوة إلى الإسلام، بل أمراً آخر من أمور الناس.

وعلم من هذا التعريف: ضرورة كون المرسل من أهل العلم؛ إذ ذلك من لوازم الدعوة إلى الله عز وجل، حتى تكون دعوته على بصيرة وحجة، وحتى تكون رسالته وفق الأصول الشرعية والآداب المرعية.

كما يعلم ضرورة كون المدعو إليه هو الإسلام الحق الذي بين الله تعالى معالمة في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ، وهو ما عليه جمهور أهل السنة والجماعة الذين نقلوه جيلاً عن جيل إلى جيل الصحابة رضوان الله عليهم الذين أخذوه من في رسول الله ﷺ وسننه وأيامه وأفعاله وتقريراته وهديه.

المبحث الثاني: مشروعية الرسالة الدعوية

سبق في تمهيد هذه الدراسة بيان فضل الدعوة إلى الله عز وجل ومشروعيتها وأهميتها، وإن جميع ما ذكر هنالك من الأدلة صالِح للدلالة على مشروعية الرسالة الدعوية على وجه العموم؛ لكونها وسيلة من وسائل تحقيق الأمر بالدعوة إلى الإسلام، والوسائل تأخذ أحكام مقاصدها، غير أن ثمة مجموعة من الأدلة في الكتاب والسنة تدل على مشروعية الرسالة الدعوية على وجه الخصوص، وكونها سنة من سنن الأنبياء والمرسلين، ومن هدي رسول الله ﷺ مع عظماء الأمم المخالفين لملة الإسلام، ويمكن إذن تفصيل هذه الأدلة وفق

بعد، ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64]⁽²⁵⁾.

ومن فوائد هذه الوسيلة في الدعوة: أنها غير مكلفة، ولا تحتاج إلى كثير من الجهد، وهي تفضل على الكتاب المطبوع من جهة أنها تكون خاصة بالمرسل إليه لا يشاركه فيها غيره، وتكون أيضاً مبنية على مراعاة حاله في العلم والثقافة والمكانة، ومكتوبة بلسانه ولغته، ومختصرة وجيزة، وكل ذلك يجعلها أخلق بتقريب المدعويين للإسلام.

ولا بد أن يراعي الداعية في رسالته لزوم أدب الرسائل من التوطئة بما يدل على المقصود ببراعة استهلال، وتلطيف الخطاب، ومعرفة منزلة المدعو وحفظ مكانته، وعدم حشو الرسالة بما يمكن أن يبعثه على السامة والملل، والتجالي عن العلو والغرور وذم نحلته أو ديانتته، وذلك كله مما أمر الله به، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة: 83]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت: 46]، وعلى هذا المنوال كان النبي ﷺ يكتتب ملوك زمانه وعظماءه.

ومما هو شبيهه بأسلوب الرسائل: إهداء المؤلفات الإسلامية المترجمة إلى لغات المدعويين، فهي أيضاً طريقة نافعة، إلا أنه ليس كل الناس ممن يألّفون قراءة الكتب المطولة، فيجب مراعاة طبائع المدعويين في هذا وميولاتهم، والرسائل أبلغ من هذه المؤلفات وأنفع كما سلف، وإنما ينتفع بالكتب أكثر من قد أسلم، وإن كان ينتفع بها غيرهم أيضاً.

وكذلك مواقع الأنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي على اختلاف أنواعها، فهي جميعها تعد حاملة للرسائل الدعوية ومجالاً رحباً للدعوة إلى الإسلام وتعريف المخالفين بمعالمه وأصوله.

المبحث الرابع: أصول وأدب الرسالة الدعوية انطلاقاً من رسالة النبي ﷺ إلى هرقل

ثبت في كتب الحديث والتاريخ كما أسلفت أنفاً أن النبي ﷺ راسل ملوك الأمم وعظماءهم يدعوهم إلى الإسلام وترك ما هم عليه من الشرك والوثنية والباطل، وفيما يلي دراسة تحليلية لواحدة من أهم وأصح هذه الرسائل، وهي رسالته ﷺ إلى هرقل عظيم الروم⁽²⁶⁾، ومن الله تعالى نستمد العون والمدد والتوفيق.

نص الرسالة

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في سياق سؤال هرقل لأبي سفيان عن النبي ﷺ، من حديث طويل، وفيه: "ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ، فقرأه فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما

وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعياذ ابني الجلندي الأزديين ملكي عمان، وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث ملك اليممن"⁽²²⁾.

3- فعل الخلفاء الراشدين

وعلى منوال رسول الله ﷺ سار خلفاؤه الراشدون من بعده في تبليغ الإسلام، ولم يُقصروا أو يألّوا، ومن الرسائل التي حفظها التاريخ: رسالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى المرتدين من الأعراب، وجاء فيها قوله: "من أبي بكر خليفة رسول الله، إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه: سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ... وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغتراراً بالله وجهالة بأمره وإجابة للشيطان ... وإني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته أن لا يقاتل أحداً حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك"⁽²³⁾.

وكتب أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى أهل الكوفة يدعوهم إلى لزوم الملة واتباع السنة، وجاء في رسالته: "أما بعد: فإني بعثت إليكم عماراً أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاسمعوا لهما واقعدوا بهما، وإني قد أثرتم بعبد الله على نفسي أثره"⁽²⁴⁾.

وما زال سلف هذه الأمة وعلماءها يرسلون الأمم المخالفة للإسلام، ويدعونهم إليه، وتمثل ذلك في وجود عشرات المصنفات في الردود الدينية وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، وهي أكثر من أن تحصر.

المبحث الثالث: أهمية الرسالة الدعوية

إن المراسلات الدعوية من خير الوسائل وأنفعها في الدعوة إلى الله وتعريف المخالفين بالإسلام؛ لأنها أولاً: تحمل في طياتها معاني إنسانية راقية، فهي تدل على حب الخير للمرسل إليه ونصحه، وتخصيصه بجزء من وقت المرسل وجهوده، ولأنها ثانياً: تكون أدعى للقبول؛ إذ ليس فيها ما يصحب المناظرة في العادة من الصخب والغضب والاستعلاء، بل ينفرد بها المرسل إليه، ويقرؤها بتأن وتدبر، وقد يكون ثمة ما يمنع من سماع المواعظ مباشرة إما لاستعلاء في نفس المدعو، أو لأنه لا يجد وقتاً لها، فتكون الرسالة هاهنا خير وسيلة لتبليغ المراد.

والنبي ﷺ اختار هذه الطريقة في دعوته، وراسل جملة من ملوك الأمم وعظمائهم، قال سعيد بن المسيب (ت: 94هـ): "كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر والنجاشي: أما

نفسه، كما جاء عن علي بن الحسين (ت: 95هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ مَكَانَ الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَى أُنْبَاهِهِمْ فَوْراً﴾ [الإسراء: 46]، قال معناه: إذا قلت: "بسم الله الرحمن الرحيم" (33)، وإذا وقعت البسملة على مسامع الشيطان خنس وتضاءل، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: "إذا عثرت بك الدابة فلا تقل تعس الشيطان، فإنه يتعاضم حتى يصير مثل البيت، ويقول بقوته صنعته، ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم، فإنه يتصاغر حتى يصير مثل الذباب" (34).

ويمكننا هنا أن نستخلص بعضاً من أسرار البداية بالبسملة في الرسائل الدعوية على وجه الخصوص، فمن ذلك - والله أعلم -:

1- تضمنها للاستعانة بالله تعالى على هداية الخلق، وذلك مأخوذ من باء بسم الله، فإنها للاستعانة (35)، والمعنى: أستعين بالله الرحمن الرحيم على بلوغ مقصدي وتحقيق مطلبي، وهذا فيه تفويض هداية الخلق إلى خالقهم سبحانه، والاستعانة به عليهم، مشفوعة بالتسول إليه بأعظم أسمائه وصفاته، وهي: اسم الله والرحمن والرحيم، فالبسملة في حقيقتها تتضمن الاعتراف بقصور البشر عن نفع الخلق، وتفويض أمرهم إليه، والاستعانة به ودعائه أن يهديهم إلى رشدهم، وما أخلق هذا الأدب بتحقيق المطلوب وبلوغ الأرب.

وقد جاء في الحديث الحسن: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع" (36)، قال الإمام القرطبي (ت: 671هـ): "قال بعض أهل العلم: معنى قوله "بسم الله" أي: بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته، وهذا تعليم من الله تعالى عباده، ليدذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها، حتى يكون الافتتاح ببركة الله جل وعز" (37).

2- تعريف المدعو بمضمون الدعوة وغايتها والثمرة المرجوة منها، وذلك كله كامن في تصدير البسملة باسم الله، فإن هذا الاسم هو الذي يدعو إليه الداعي، وهو متضمن لكل نعوت الجلال والجمال على الوجه الذي يليق بالله جل جلاله، أي أنه يُعرف المدعو على الله تعالى بأقصر عبارة وأعظم معنى، واشتقاقه من أنه يألوه إلهة وألوهية، إذا عبد، فهو المعبود بحق سبحانه، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين" (38)، وهو أجمع وأخص أسماء الله الحسنى، حتى لا يجوز أن ينعت به أحد سواه، قال الإمام القرطبي: "واسم "الله" هو أعظم أسمائه سبحانه وأجمعها، حتى قال بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم ولم يتسم به غيره، لذلك لم يثن ولم يجمع، وهو أحد تأويلي قوله تعالى: ﴿هَلْ نَعْلَمُ لَسَمِيًّا﴾ [مريم: 65]، أي من تسمى باسمه الذي هو "الله"، فالله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه، وقيل: معناه الذي يستحق أن يعبد، وقيل: معناه واجب الوجود الذي لم يزل ولا يزال، والمعنى واحد" (39).

ومعلوم أن الغاية من خلق الخلق وإسكانهم في هذه الأرض هي: أن يعبدوا خالقهم وحده لا شريك، وأن يعمرها هذه الأرض

بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتلك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، ﴿يَا أَيُّهَا الْكُتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا مَرْبَاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64]، فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط، وأمر بنا فأخرجنا، فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر، قال: فما زلت موقناً بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر، حتى أدخل الله علي الإسلام، قال الزهري: فدعا هرقل عظماء الروم فجمعهم في دار له، فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد، وأن يثبت لكم ملككم، قال: فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فقال: علي بهم، فدعا بهم فقال: إني إنما اختبرت شدتكم على دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحببت فسجدوا له ورضوا عنه (27).

اشتملت هذه الرسالة النبوية على جملة من الأصول والآداب التي يجب على كل داع إلى الإسلام أن يراعيها في رسائله الدعوية، وهي على الجملة عشرة أصول وآداب:

الأصل الأول: افتتاح الرسائل الدعوية بالبسملة

قال الإمام النووي (ت: 671هـ) عند قوله في الحديث: "إذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم": "فيه استحباب تصدير الكتب ببسم الله الرحمن الرحيم وإن كان المبعوث إليه كافراً، ويحمل قوله في حديث أبي هريرة: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع" (28) أي: بذكر الله، كما جاء في رواية أخرى، فإنه روي على أوجه "بذكر الله"، "ببسم الله"، "بحمد الله"، وهذا الكتاب كان ذا بال من المهمات العظام، ولم يبدأ فيه بلفظ الحمد، بل بالبسملة" (29).

والأصل في هذا: كتاب الله القرآن، فإنه مفتتح بالبسملة، وكذلك جميع سوره التي تنزلت على النبي ﷺ، وهي سنة الأنبياء والمرسلين أيضاً، فإن نبي الله سليمان عليه السلام افتتح كتابه للملكة سبأ بالبسملة، وقد وصفته بأنه: {كتاب كريم} ولعل ذلك كان من أجل افتتاحه بالبسملة، والنبي ﷺ افتتح كتبه للملوك وعظماء الأمم بالبسملة، قال الحافظ ابن حجر (ت: 852هـ): "وقد جمعت كتب النبي ﷺ إلى الملوك وغيرهم فلم يقع في واحد منها البداية بالحمد بل بالبسملة... ووقع في مرسل سعيد بن المسيب عند بن أبي شيبه أن هرقل لما قرأ الكتاب قال هذا كتاب لم أسمعه بعد سليمان عليه السلام، كأنه يريد الابتداء ببسم الله الرحمن الرحيم، وهذا يؤيد ما قدمناه أنه كان عالماً بأخبار أهل الكتاب" (30).

وإن البسملة - على وجازتها - قد حوت معاني بديعة ولطائف كريمة، فلذلك تسمى تيجان السور (31)، قال بعض العلماء: إن "بسم الله الرحمن الرحيم" تضمنت جميع الشرع، لأنها تدل على الذات وعلى الصفات (32)، ولها وقع على نفوس المؤمنين تقصر العبارة عن وصفه، وإذا سمعها الكافر انزعجت لها

ولم يجيء قط رحمن بهم، فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، والرحيم هو الراحم برحمته⁽⁴²⁾.

وكلا هذين الوصفين يحيلان السامع إلى الرحمة العليا لله سبحانه، وهي جناته التي أعدها لأوليائه والمتقين من خلقه، كما في قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ وَيَهْدِيهِمُ اللَّهُ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾. [النساء: 175]، وقوله: ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (85) وَسَوْقَ الْجَرَمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرُودًا (86)﴾ [مريم: 85-86]، كما أنهما يحيلان على موجب الهداية والرشاد ومقتضيهما من قوم دون قوم ومن شخص دون آخر، فكل ذلك من رحمة الله وعدله، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46].

وفي نظرنا فإن مجموع هذه المعاني في البسملة تفي بالمقصود من الدعوة لولا غلظ الحجاب وسوء الفهم، والموفق من وفقه الله وحده.

الأصل الثاني: التعريف بالداعي في صدر الخطاب

وذلك مأخوذ من قوله ﷺ في هذا الكتاب: "من محمد رسول الله"، وجاء في ألفاظ أخرى في الصحيح، "من محمد بن عبد الله ورسوله"، قال ابن حجر: "وفيه إشارة إلى أن رُسل الله وإن كانوا أكرم الخلق على الله، فهم مع ذلك مقرون بأنهم عبيد الله، وكان فيه إشارة إلى بطلان ما تدعيه النصراني في عيسى عليه السلام"⁽⁴³⁾.

وجميع رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والعظماء كانت على هذا المنوال، وذلك يعني أنه شيء مستحب فعله، وعلى هذا نستحب للداعي إلى الإسلام أن يعرف المدعويين في رسالته بنفسه، ويذكر لهم من صفته ونعته ما يعلو به شأنه من غير فخر وازدراء، فذلك أحرى بمعرفة قدره والإنصات لقوله.

الأصل الثالث: احترام المدعو ومعرفة مكانته

فيلاحظ أن النبي ﷺ وصف ملك الروم بالعظيم، أي من تُعظمه الروم نفسها، وتقدمه للرئاسة عليها⁽⁴⁴⁾، ووصفه وقومه بأنهم: "أهل كتاب"، وذلك أدب جم وخلق رفيع من النبي ﷺ، والله تعالى قد أمر المسلمين أن يتلفظوا بالأقوال الحسنة في معرض دعاء غيرهم إلى الإسلام، كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [سورة العنكبوت: 46]، ومعلوم أن أفعال التفضيل يدل على الاشتراك في أصل الفعل، والمعنى أنه إذا كانت هناك طريقتان للدعوة إلى الإسلام إحداها حسنة والأخرى أحسن منها فيتعين الأخذ بالتي هي أحسن، وهذا منتهى ما يكون من الحكمة والموعظة الحسنة.

الأصل الرابع: إلقاء تحية الإسلام

الإسلام دين سلام وأمان، ومن هذا المعنى اشتق اسمه، فلا جرم أن تكون تحيته منطوية على معناه وكنهه وغاية أمره، ومن السنة أن يُحيي المدعو إلى الإسلام بهذه التحية العظيمة،

وفق ما أرشدهم إليه وعلمهم إياه كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

قلت: فهذه المعاني الجليلة لهذا الاسم الأعظم حري بها أن تهز وجدان هذا المدعو، وتوقظ ضميره، وتذكره بهذا المعبود الأعظم، وتبعث في نفسه التساؤل، والسؤال عادة ما يكون مبدأ الإيمان.

3- الإشارة إلى المقصود من عبادة الخلق لخالقهم، وذلك سر كائن في وصف الله تعالى نفسه بصفتي الرحمن الرحيم، فالأول يدل بوزنه على السعة والامتلاء⁽⁴⁰⁾، أي: صاحب الرحمة الشاملة التي تشمل جميع الخلق، فلذلك لا يجوز أن يتسمى به غيره⁽⁴¹⁾، وتجلت سعة رحمة الله في كل شيء في هذا الوجود، في خلقه وشرعه وجميع أسمائه وصفاته وأفعاله وعدله وقضائه، كما قال سبحانه عن نفسه: ﴿وَمِنْ حِمِّي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، وفي دعاء الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: 7] وبهذه الرحمة وجد هذا الكون كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: 59]، وبهذه الرحمة أيضاً سيفنى هذا الكون، ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 52]، وبها أنزل الله هذا القرآن، ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [القصاص: 86]، وبها بعث نبيه محمداً ﷺ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، فسبحان أرحم الراحمين، وسعت رحمته السماوات والأرض ومن فيهن.

ويلاحظ في القرآن الكريم مجيء اسم الرحمن كثيراً بعد اسم الله؛ واقتراحه بعبوديته وألوهيته سبحانه، مثل قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] وقوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 93]، وذلك والله أعلم لتعليل لعبوديته، والمعنى: عبادوه لأنه رحيمكم، والتناسب فيه واضح بين، فإن المعبودات سواء سبحانه مسلوية الرحمة، فلا تستحق إذن أن تعبد، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ مَرْغَبًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: 73]، وقال سبحانه: ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: 45] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَامُوزُ مِنْ قَبْلِ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أُمْرِي﴾ [طه: 90].

وأما وصف الرحيم: فهو متضمن لرحمة الله الفعلية، فالرحمن صفة ذاتية له سبحانه، والرحيم صفة فعلية، أي أنه رحمان في نفسه ورحيم بخلقه، وكم من راحم في نفسه غير قادر على رحمة غيره؟ قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (ت: 751 هـ): "وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى بديع، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلّقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 43]، ﴿إِنَّهُمْ مِنْ رُءُوفِ رَبِّهِمْ﴾ [التوبة: 117]،

الأصل السادس: التواضع ولين الجانب

وهذا مستنبط من ترك النبي ﷺ لألقاب التعظيم التي يتفاخر بها الملوك، وإنما ذكر اسمه ﷺ مجرداً إلا مما يعرفه بوظيفته وهو وصف الرسالة والنبوة، ووقع هذا التعبير في جميع كتبه صلوات الله وسلامه عليه.

ويلاحظ ما في جملة "أدعوك" من التلطف واللين في الخطاب، ففيها أولاً: استعمال ضمير المتكلم المفرد دون نون العظمة، وذلك غاية التواضع، وفيها ثانياً: استعمال أسلوب ينال الأمر والاستعلاء والقهر، وهو التعبير بلفظ أدعوك بدل أمرك أو ألزمك ونحو ذلك من عبارات الاستعلاء، وفي ذلك إشارة إلى خلو الأمر من أي إكراه، فإن الدعوة من جنس النصيحة التي تعني الرفق بالمنصوح وابتغاء الخير له دون إكراهه⁽⁵¹⁾، وفي خاتمة كتاب النبي ﷺ إلى يهود خيبر قوله: "هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟، فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم {قد تبين الرشد من الغي} [سورة البقرة: 256]، فادعوكم إلى الله وإلى نبيه"⁽⁵²⁾، وهذا منتهى ما يكون من الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة إلى الإسلام، فليزمد داعي هذا السنن النبوي الكريم.

الأصل السابع: الترغيب في الإسلام والتحذير من تركه

أسلوب الترغيب والترهيب كجناحي الطائر، لا يمكنه أن يطير إلا بهما معاً، وهو أسلوب قرآني مطرد مع المؤمنين وغيرهم، قال الله تعالى: ﴿بَشِّرْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50)﴾ [الحجر: 49-50]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ مَرَكَّ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ مَرَكَّ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: 6] وقال جل شأنه: ﴿حَم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ (3)﴾ [غافر: 1-3].

وهذه الثنائية الدعوية تعود في الأساس إلى اتصاف الله تعالى بكلا هذين الوصفين الكريمين، فهو الغفور الرحيم، وهو العزيز الحكيم، فوجب أن يكون الخطاب الدعوي يعكس دلالة أسمائه وصفاته جل في علاه⁽⁵³⁾، والناس أيضاً تتنوع طبائعهم، فمنهم من يميله الإغراء، ولا يخيفه التحذير والإنذار، فالترغيب في حقه أكد، ومنهم من يخيفه العذاب وسوء العقوبة، ولا يبالي أن يفوته الخير والنفع، فالترهيب في حقه أجدى وأنفع، ومنهم من يخاف الشر ويحب الخير وهو غالب طبع الناس، فبإزواج لهم في الخطاب، وهكذا سلك النبي ﷺ مع ملوك الأمم في رسائله، فهو يقول في هذه الرسالة: "أسلم تسلم، وأسلم يؤتلك الله أجره مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين"، فالجملة الأولى ترغيب محض، ووقع الترغيب فيها بالسلامة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وهي غاية مطالب الإنسان، وإنما يحصل ذلك بالإسلام وحده كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]، وقوله: ﴿أَفَنُتْلَىٰ نَارَ خَيْرٍ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [فصلت: 40]، ونرى أن السلامة هنا لا تنطوي على معنى التحذير من غزو المسلمين وقتالهم

ويلاحظ أن النبي ﷺ في عامة كتبه استعمل هذا اللون من التحايا، فهو لا يسلم عليهم بإطلاق، وإنما يخص التحية بمن اتبع الهدى⁽⁴⁵⁾، وهي تحية موسى وهارون عليهما السلام لضرعون، قال العلماء: "ليس المراد من هذا التحية، إنما معناه يسلم من عذاب الله من أسلم، ولهذا جاء بعده ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه: 48]، وكذا جاء في بقية هذا الكتاب: "فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين"، فمحصل الجواب أنه لم يبدأ الكافر بالسلام قصداً وإن كان اللفظ يشعر به، لكنه لم يدخل في المراد، لأنه ليس ممن اتبع الهدى فلم يسلم عليه"⁽⁴⁶⁾.

قلت: وفي التحية الإسلامية معان بديعة ولطائف كريمة تقتضي بحسن لفظها وجزالة معناها أن تحت المدعو على قبول الإسلام، قال ابن القيم رحمه الله: "وأما قول المسلم: السلام عليكم، فهو إخبار للمسلم عليه بسلامته من غيلة المسلم وغشه ومكره ومكره يئاله منه، فيرد الراد عليه مثل ذلك أي: فعل الله ذلك بك وأحلّه عليك... وكل أمة من الأمم لهم تحية بينهم من أقوال وأعمال كالسجود وتقبيل الأيدي وضرب الجوك⁽⁴⁷⁾، وقول بعضهم: أنعم صباحاً، وقول بعضهم: عش ألف عام، ونحو ذلك، فشرع الله تبارك وتعالى لأهل الإسلام "سلام عليكم"، وكانت أحسن من جميع تحيات الأمم بينها، لتضمنها السلامة التي لا حياة ولا فلاح إلا بها، فهي الأصل المقدم، وانتفاع العبد بحياته إنما يحصل بشيئين: بسلامته من الشر وحصول الخير، والسلامة من الشر مقدمة على حصول الخير وهي الأصل، فإن الإنسان، بل وكل حيوان، إنما يهتم بسلامته أولاً وغنيمة ثانياً، على أن السلامة المطلقة تتضمن حصول الخير، فإنه لو فاته حصل له الهلاك والعطب أو النقص، ففوات الخير يمنع حصول السلامة المطلقة، فتضمنت السلامة نجات العبد من الشر، وفوزه بالخير مع اشتقاقها من اسم الله"⁽⁴⁸⁾.

الأصل الخامس: التصريح بمضمون الدعوة

وذلك مأخوذ من قوله ﷺ: "إني أدعوك بدعاية الإسلام"، قال ابن حجر: "والدعاية بكسر الدال من قولك: دعا يدعو دعاية، نحو شكا يشكو شكاية، ولمسلم بدعاية الإسلام أي بالكلمة الداعية إلى الإسلام، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والباء موضع إلى"⁽⁴⁹⁾.

ومن الجائز أن يكون النبي ﷺ اكتفى بدعاية الإسلام دون الخوض في التفاصيل؛ اكتفاء بما يعلمه أهل الكتاب من شأن هذه الملة الإسلامية، وأنها قائمة على توحيد الله تعالى بالعبادة، والتسليم لنبيه بالرسالة، والإيمان بالقرآن وشرائع الإسلام، فيكون ذلك اختصاراً بديعاً؛ لأنه يتضمن الإحالة إلى ما يعلمونه عن الإسلام مما يجدونه في كتبهم عنه كما جاء التصريح بذلك في بعض كتب النبي ﷺ إلى يهود خيبر⁽⁵⁰⁾، وفي ذلك إقامة للحجة بأبداع أسلوب وأوجز خطاب.

عدل وقصد في الأمور واستواء في الحقوق والواجبات، وتوحيد للرب الخالق سبحانه، وقد فسر السواء هاهنا بالعدل وفسر بالقصد، وهي معان متقاربة، قال العلامة ابن عطية رحمه الله (ت: 542هـ): "والذي أقوله في لفظة سَوَاءٍ: إنها ينبغي أن تفسر بتفسير خاص بها في هذا الموضع، وهو أنه دعاهم إلى معان جميع الناس فيها مستوون صغيرهم وكبيرهم، وقد كانت سيرة المدعويين أن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً، فلم يكونوا على استواء حال، فدعاهم بهذه الآية إلى ما تألفه النفوس من حق لا يتفاضل الناس فيه، فـ"سَوَاءٍ" على هذا التأويل بمنزلة قولك لآخر: هذا شريكي في مال سواء بيني وبينه، والفرق بين هذا التفسير وبين تفسير اللفظة بعدل، أنك لو دعوت أسيراً عندك إلى أن يسلم أو تضرب عنقه لكنت قد دعوته إلى السواء الذي هو العدل، وعلى هذا الحد جاءت لفظة سَوَاءٍ في قوله تعالى: ﴿فَأَبْذِلْهُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: 58] على بعض التأويلات، ولو دعوت أسيرك إلى أن يؤمن فيكون حراً مقاسماً لك في عيشك لكنت قد دعوته إلى السواء الذي هو استواء الحال على ما فسرته، واللفظة على كل تأويل فيها معنى العدل، ولكني لم أر لمتقدم أن يكون في اللفظة معنى قصد استواء الحال، وهو عندي حسن، لأن النفوس تألفه، والله الموفق للصواب برحمته" (58).

والتركيز على الأصول المشتركة في بداية دعوة المخالفين سيما أهل الكتاب من التدرج الذي جاء به القرآن الكريم، والتزمه النبي ﷺ في دعوته، ومعلوم أن الأديان والملل السابقة تشترك مع الإسلام في أصول الدين والتوحيد؛ لأنها في الأصل أديان سماوية من الله الحكيم العليم، وإنما طرأ عليها التحريف والتأويل لاحقاً، وفي بيان هذا الوفاق بين الأديان يقول الحق تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13]، ويقول سبحانه يخاطب نبيه محمداً ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48]، وقال النبي ﷺ: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟"، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" (59).

وحينئذ ففي الإمكان استثمار هذه الأصول المشتركة لتقريب الهوية بين هؤلاء وبين الإسلام (60)، ولا يشتغل الداعية بالأمور المفصلية وخصائص الشريعة الإسلامية إلا بعد بيان هذه الأصول وتصحيح مفاهيمها في أذهان المدعويين، ومن القواعد المقررة في هذا الصدد: أنه: "لا يُدعى إلى الفرع من لا يُقر بالأصل" (61)، فيشتغل الداعية أولاً بالحديث عن الأصول الجامعة بين الإسلام وغيره من الأديان، ويعمل على تصحيح مفاهيم تلك الأصول في أذهان المدعويين، فقضية التوحيد مثلاً هي قضية مسلمة عند أهل الكتاب، فهم يقولون إن الله واحد، لكنهم يخطئون في تفسير هذه الوجدانية، فيجعلونها مركبة من الأب والابن وروح القدس كما هو حال النصراني أو فرقة

وإن كان اللفظ يحتمله بوجه من التأويل؛ لأن ذلك غير مناسب للسياق، وغير متوافق مع مراعاة الرفق واللطف واللين في الخطاب، ويدل لذلك أنه لو كان القصد السلامة من الغزو والجهاد لقال: فإن توليت فإن جند الله نازلة بساحتكم ونحو ذلك، ولكنه قال: "فإن توليت فإن عليك إثم الإريسيين" (54)، وفي لفظ: "فإنما عليك إثم الإريسيين" (55) بحصر العقابته في خصوص تحمل أوزار رعيته وأتباعه مع وزره هو، فدل ذلك على أنه لا يتهدده بالغزو والقتال، بل يحذره من خزي الله وعذابه جراء إعراضه وتولييه.

ويزيد النبي ﷺ في إغرائه لعظيم الروم، فيعلمه بأنه إن أسلم وصبر على فراق دين آبائه وقومه فإن الله تعالى يوفي له الأجر مرتين، مرة على إيمانه بنبيه - ولو كان فيه ما فيه - (56)، ومرة على إيمانه بالنبي ﷺ، ومصادق ذلك في القرآن قوله جل شأنه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِمْ يَفْتَحُ لَهُمْ الْبَابَ﴾ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (54)﴾ [القصاص: 52-54]، وقد جاء أنها نزلت في طائفة من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وغيرهم حين آمنوا بالنبي ﷺ (57).

قلت: ويلاحظ أن أهل الكتاب كفرهم الله تعالى في كتابه بما أحدثوه في دينهم من العقائد الوثنية والسلوكات الشركية، كما في قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 17]، وقوله: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ (80)﴾ [المائدة: 78-80]، وأخبر أنهم: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ [التوبة: 29]، ومع ذلك فإن النبي ﷺ يغيرهم بالأجر على ملتهم هذه إن هم آمنوا به وأسلموا، وإنما فعل ذلك تأليفاً لقلوبهم على الإسلام، واحتراماً لدينهم في سياق الدعوة إليه، وهكذا نوصي كل داعية إلى الإسلام أن يتجنب الطعن في دين من يدعوهم، وإنما يركز على محاسن الإسلام وفريضة التوحيد، ويكتفي بذكر المحاسن للتنبية على المساوئ، وبضدها تمييز الأشياء.

الأصل الثامن: التركيز على الأصول المشتركة بين الأديان

ختم النبي ﷺ رسالته إلى هرقل بآية جامعة لكل معاني الخير التي جاءت بها جميع الملل السماوية، وهي قول الله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا أَمْرَباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64]، فدين المسلمين وأديان أهل الكتاب تشترك في هذه الأصول المللية، فجميعها في أصله يدعو إليها، والقرآن يأمر المسلمين أن يدعوا هؤلاء الكتابيين إلى هذه الأصول المشتركة التي تجعلهم وإيانا على سواء أي على

ووقعت الإشارة إلى هذا في الآية الكريمة التي ختم بها كتابه، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية، فإن هذه الأصول المليية يستوي فيها المسلمون وغيرهم من أهل الكتاب، والنبي ﷺ لم يدعه إلى أكثر من الإقرار بها مع الإيمان بنبوته ﷺ.

وكثيراً ما كان النبي ﷺ يلزم أهل الكتاب في مناظراته إياهم وكتبه إليهم بما يجدونه في كتبهم، وإلى ذلك وقعت الإشارة في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعُوذُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: 15]، وكان من هذا الذي أخفوه وبينهم لهم: إنكارهم أن الله حرم عليهم بعض الطيبات بسبب ظلمهم ومعاصيهم، وهي المذكورة في قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُرُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: 146]، فإنهم أنكروا هذا، وقالوا لم يحرم علينا إلا ما كان محرماً على نبي الله إسرائيل يعقوب عليه السلام، فكذبهم القرآن في ذلك كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: 93]، قال ابن عباس: "لما أصاب يعقوب عليه السلام عرق النسا وصف الأطباء له أن يجتنب لحوم الإبل فحرمها على نفسه، فقالت اليهود: إنما نحرم على أنفسنا لحوم الإبل، لأن يعقوب حرمها وأنزل الله تحريمها في التوراة، فأنزل الله هذه الآية. قال الضحاك: فكذبهم الله ورد عليهم فقال: يا محمد" قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين" فلم يأتوا، فقال عز وجل: ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آل عمران: 94] (65).

ومن ذلك: رجم الزاني المحسن، وبينه القرآن في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرِ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فُرْقَانُ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: 23] يعني يدعون إلى التوراة ليحكم بينهم في حد الزاني المحسن بالرجم، وهم معرضون عن ذلك منكرون له (66).

ومن ذلك: ما أخفوه من صفات الرسول ﷺ في كتابهم، وإنكارهم أنهم يعرفون أنه هو الرسول، كما بينه تعالى بقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْخِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: 89].

ومن ذلك: كتم النصارى بشارة عيسى بن مريم عليه السلام لهم بمحمد ﷺ وقد بينها تعالى بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَبَشِيرٌ بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: 6]، إلى غير ذلك من الآيات المبينة لما أخفوه من كتبهم (67).

وفي كتاب النبي ﷺ إلى يهود خيبر تذكيرهم بجملة هذه الأصول والزامهم بالإيمان بها لوجودها في كتبهم،

منهم (62)، فالعالم الراسخ بإمكانه استغلال هذا الأصل الجامع، ثم تصحيح هذا المفهوم الخاطئ حول الوحدانية وبيان أن العقل لا يتقبله لأنه محال وتناقض محض.

وأما الشرائع المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب فهي كثيرة ومتنوعة منها الواجبات كالصيام والزكاة والصلاة - ولو على غير ما هي عليه في الإسلام - ومنها المحرمات: كالظلم والعقوق والزنا والخيانة وغير ذلك (63)، وحينئذ فإن أقروا بأحكام هذه الأشياء فيقال لهم: كيف يكون الإسلام صادقاً في الشرائع مخطئاً في العقائد؛ فإن الشريعة تتبع العقيدة، وصدق أحدهما دليل على صدق الآخر.

ونجد القرآن الكريم قد اتبع ذات الأسلوب مع أهل الكتاب، حيث يذكرهم بالأصول المشتركة، ويخاطبهم بأن المسلمين يؤمنون بأنبيائهم وبما يؤمن به أنبيأؤهم، ويأمر نبيه ﷺ بدعوتهم إلى كلمة سواء وبالعدل بينهم، قال الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لِمُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: 136].

وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَمَرْبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُكُمْ وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ [الشورى: 15].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا إِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لِمُسْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 46].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا تَعُدُّ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَخِذْ بِغَضًا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64].

وفي رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة يقول فيها: "من محمد رسول الله، إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحسنة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاتة على طاعته، وأن تتبني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ونفراً معه من المسلمين، فإذا جاءك فأقرهم، ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله، فقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصحي، والسلام على من اتبع الهدى" (64).

الأصل التاسع: إلزام المدعو بما يؤمن به

من الأصول النافعة في علم المناظرة إلزام الخصم بما يلتزمه في دينه ومذهبه، فإذا ذكرت له الأصول المشتركة، فلينبه إلى أن من واجبه الإيمان بها، وإلا كان مكابراً ومعرضاً عن دينه، وهكذا فعل النبي ﷺ في كتبه مع المدعويين، فإنه يلزمهم بما في كتبهم مما يجدونه فيها عن الإسلام ونبيه الخاتم ﷺ،

والنفس والهوى والتكبر، وأما قوله: ﴿وَأَتَوْنِي مُسْلِمِينَ﴾ فالمراد من المسلم إما المنقاد أو المؤمن، فثبت أن هذا الكتاب -على وجازته- يحوي كل ما لا بد منه في الدين والدنيا⁽⁷³⁾.

وهكذا نوصي المتصدي لدعوة المخالفين إلى الإسلام أن يقتصر في رسائله على المقصود، وأن يستعمل جوامع الكلم، ويُعرف النظر السيء بنظيره الحسن، وينتقي من الألفاظ ما هو لائق بمعانيها، ومن المعاني ما هو لائق بسياقها، ومن كتب الله له الهداية كفته الكلمات اليسيرة عن الجمل الكثيرة، ومن كان بخلاف ذلك لم يفده التطويل والإكثار، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِدْهُ الْمُهْتَدِ مَنْ يَضِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: 17].

وبعد: فهذه جمل من الأصول المحكمة والآداب النافعة مأخوذة من مشكاة النبوة وهدي سيد البشرية ﷺ، وأي كتاب حذا حذوها فإنه خليف بأن يكون له من التأثير والنفع ما كانت لهذه الرسائل النبوية البليغة، ولا أقل من أن توقظ قلوب المدعويين وتهز وجدانهم، فهذا هرقل حين قرأ الكتاب تصدعت أركانه وارتجف فؤاده، ولولا خوفه من الأعوان والمقربين لأسلم وأمن، وقد لاحظ أبو سفيان شدة الرعب الذي أصابه، وقال في نهاية الحديث: "لقد أمر أمر ابن أبي كبشة⁽⁷⁴⁾، إنه ليخافه ملك بني الأصفر⁽⁷⁵⁾، فما زلت موقناً بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام، قال الزهري (ت: 124هـ): فدعا هرقل عظماء الروم، فجمعهم في دار له، فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد، وأن يثبت لكم ملككم، قال: فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فقال: علي بهم، فدعا بهم فقال: إني إنما اخترت شدتكم على دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحببت، فسجدوا له ورضوا عنه".

هذا ما يسر الله قوله في هذه الرسالة، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله، والحمد لله رب العالمين. وكان الفراغ منه -بحمد الله- ليلة الأحد السادس والعشرين من شهر جمادى الآخر من عام 1440هـ.

الخاتمة

في خاتمة هذه الدراسة أضع هنا ملخصاً بأهم النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم نتائج الدراسة:

1- الدعوة إلى الإسلام تنطوي على قيم إنسانية نبيلة، من حب المدعو ونصحه والشفقة عليه، والعمل على تجنيبه خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

2- خيرية هذه الأمة سببها خروجها للناس من أجل تبصيرهم بالحق، وتعريفهم بخالق الخلق.

3- الرسالة الدعوية من أنفع الوسائل الدعوية الناجحة؛ لما يكون فيها من رونق وأدب، وبعد عن موجبات الصخب والغضب، وهي وسيلة ربانية، وهدي نبوي كريم.

ومن قوله في ذلك: "واني أنشدكم بالله، وأنشدكم بما أنزل عليكم، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى، وأنشدكم بالذي أيسس البحر لأبائكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله، إلا أخبرتموني: هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟، فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم، ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ [سورة البقرة: 256] فادعوكم إلى الله وإلى نبيه"⁽⁶⁸⁾.

وعلى هذا نوصي المتصدي للدعوة إلى الإسلام أن يستعمل هذا الأسلوب، فإنه مجد ونافع، وغني عن الذكر ما يستلزمه ذلك من علم الداعي بديانات المدعويين وما معهم من بقايا الكتب السماوية، وكذلك يلزمهم بما توصل إليه العلم الحديث من إثبات كثير من حقائق القرآن الغيبية، وما فيها من إعجاز علمي مبهر⁽⁶⁹⁾، يفعل كل ذلك ملتزماً سائر ما تقدم من الآداب والأصول المرعية، والموفق من وفقه الله وهده.

الأصل العاشر: الإيجاز والاقتصار

بلاغة الكلام أوفر ما تكون في الإيجاز والاقتصار متى كان ذلك مطابقاً لمقتضى الحال، ومن أجل وأولى ما يطلب فيه الاختصار الكتب والرسائل، وكذا مقام الوعد والوعيد، ومخاطبة العظماء⁽⁷⁰⁾، ويلاحظ الإيجاز في عامة رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والزعماء، يقول الإمام النووي: "وفي الحديث: استحباب البلاغة والإيجاز، وتحري الألفاظ الجزلة في المكاتبة، فإن قوله ﷺ أسلم تسلم في نهاية من الاختصار وغاية من الإيجاز والبلاغة وجمع المعاني، مع ما فيه من بديع التجنيس، وشموله لسلامته من خزي الدنيا بالحرب والسبي والقتل وأخذ الديار والأموال ومن عذاب الآخرة"⁽⁷¹⁾، وقال الحافظ ابن حجر: "وقد اشتملت هذه الجمل القليلة التي تضمنها هذا الكتاب على الأمر بقوله: أسلم، والترغيب بقوله: تسلم ويؤتكَ أجرُك مرتين، والزجر بقوله: فإن توليت ...، والترهيب بقوله: فإن عليك ...، والدلالة بقوله: ﴿يا أهل الكتاب﴾، وفي ذلك من البلاغة ما لا يخفى، وكيف لا وهو كلام من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم"⁽⁷²⁾.

والإيجاز في دعوة المخالفين منهج قرآني وتعليم رباني لأنبيائه ورسله عليهم السلام، فقد أمر سبحانه نبيه الكريمين موسى وهارون عليهما السلام أن يقولوا لفرعون: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِْبُهُمْ فَدَّ جِنَّاتِكَ يَا مَنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتَعِ الْهَدْيَ﴾ [طه: 47]، وفي رسالته سليمان عليه السلام لأهل سبأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتَوْنِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 3031]، يقول الفخر الرازي (ت: 606هـ) في شرحه لهذه الآية: "إن الأنبياء عليهم السلام لا يطيلون، بل يقتصرون على المقصود، وهذا الكتاب مشتمل على تمام المقصود، وذلك لأن المطلوب من الخلق إما العلم أو العمل، والعلم مقدم على العمل، فقول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ مشتمل على إثبات الصانع سبحانه وتعالى وإثبات كونه عالماً قادراً حياً مريداً حكيماً رحيماً، وأما قوله: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ﴾ فهو نهي عن الانقياد لطاعة

(16) مقاييس اللغة (2/ 392)، وانظر: النهاية لابن الأثير 2/ 222، لسان العرب 280/11.

(17) كشاف اصطلاحات الفنون 1/ 859، التعريفات 1/ 110، المعجم الوسيط (344/1).

(18) الإيمان بالكتب أحد أركان الإسلام التي لا يتم إسلام المرء إلا بإيمانها بها، والإيمان بها مجمل ومفضل، أما المجمل فمعناه الإيمان بكل كتاب أوحى الله به إلى نبي من أنبيائه، وأما المفصل فالإيمان بما نص الله عليه من هذه الكتب في القرآن الكريم، وهي التوراة والإنجيل والزيور والفرقان وصحف إبراهيم وموسى، وقد جاء في حديث تَكَلَّمَ فيه: أن أبا ذر رضي الله عنه سأل النبي ﷺ كم كتاباً أنزله الله على أنبيائه؟ فقال النبي ﷺ: مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيت خمسون صحيفة، وأنزل على أخنوخ (إدريس) ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزيور والفرقان، في حديث طويل جداً، رواه ابن حبان في صحيحه، وقال أهل العلم بالحديث: إنه ضعيف جداً. ينظر: صحيح ابن حبان 2/ 77، أنيس الساري 1/ 518، سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني 2/ 603.

(19) انظر: تفسير ابن كثير 6/ 188.

(20) قال عز الدين بن جماعة: "بعث رسول الله ﷺ سنة نضر في يوم واحد في المحرم سنة سبع: وهم: عمرو بن أمية الضمري، ودحية بن خليفة الكلبي، وأبا حذافة عبد الله بن حذافة السهمي، وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي، وشجاع بن وهب الأسدي، وسليط بن عمرو العامري" المختصر الكبير في سيرة الرسول لابن جماعة ص: 113.

(21) صحيح مسلم 3/ 1397 ح: 1774.

(22) انظر: تخريج الدلالات السمعية ص: 194، السيرة النبوية لابن كثير 3/ 515، التراتيب الإدارية 1/ 180.

(23) انظر: كتاب الردة للواقدي ص: 71، تاريخ الطبري 3/ 250، مجموعة الوثائق السياسية ص: 340.

(24) انظر: المعجم الكبير للطبراني 9/ 86، مجموعة الوثائق السياسية ص: 416.

(25) مصنف ابن أبي شيبة 7/ 347، وانظر: صحيح البخاري، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة 4/ 45.

(26) هرقل هو ملك الروم وقبصرها ورأس الدولة البيزنطية، ويقال إن اسمه: أفلاقيوس أغسطس هرقل، كانت له أمجاد عظيمة، وفي عهده تغلبت الروم على الفرس، وفرح المسلمون بذلك، توفي في حدود سنة 20 من الهجرة. انظر: تهذيب الأسماء واللغات 2/ 65، موقع ويكيبيديا.

(27) صحيح البخاري 45/ 4 ح: 2941، واللفظ له، صحيح مسلم 3/ 1396 ح: 1773، مجموعة الوثائق السياسية ص: 107.

(28) هو بهذا اللفظ عند ابن أبي شيبة في المصنف 5/ 339، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص: 345، وابن ماجه في السنن 1/ 610، وابن حبان في صحيحه 1/ 173، والطبراني في المعجم الكبير 19/ 72، والحديث فيه لأهل العلم مقال، ينظر: إرواء الغليل 1/ 30.

(29) شرح النووي على صحيح مسلم 12/ 107-108، وانظر: فتح الباري 8/ 220.

(30) فتح الباري 8/ 220، وانظر: مصنف ابن أبي شيبة 7/ 347.

(31) نُقِلَ ذلك عن جعفر الصادق رحمه الله، انظر: تفسير القرطبي 1/ 91.

(32) انظر: تفسير القرطبي 1/ 91.

(33) تفسير القرطبي 1/ 92.

(34) سنن أبي داود 4/ 296 ح: 4982، سنن النسائي 9/ 205 ح: 10313، المسند 34/ 199، المستدرک على الصحيحين 4/ 324، قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(35) هذا أحد معاني الباء في العربية، وتكون لجملة معان آخر نحو اثني عشر معنى جمعها ابن مالك في قوله:

وزيد والظرفية استبن بيا وفي وقد يبينان السببا

4- الرسالة الدعوية يلزم فيها مراعاة جملة من الآداب والقيم والأصول، وهي على الجملة: براعة الاستهلال، وحسن الخطاب، وجزالة المعاني مع اختصار المباني، والثناء على الله بما هو أهله، والرفق بالمدعو، ومعرفة ما له من المكانة بين قومه، وتجنب التوبيخ والتسفيه والاحتقار، والمزاوجة بين الترغيب والترهيب.

5- مواقع التواصل الاجتماعي تمثل المجال الرحب للرسائل الدعوية، ويلزم فيها من الآداب ما يلزم في الرسائل الدعوية.

ثانياً: أهم التوصيات

1- إدراج رسائل النبي ﷺ ضمن المقررات الأدبية في المدارس؛ لما تشمله من الآداب النافعة والأصول الجامعة.

2- دراسة المضامين الدعوية والتربوية التي اشتملت عليها رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والعظماء.

3- من المسائل الجديرة بالدراسة: أهمية مواقع التواصل الاجتماعي في تبليغ الرسائل الدعوية.

تضارب المصالح

❖ يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

الهوامش

(1) من هذه الأبحاث والدراسات: فقه دعوة غير المسلمين ورعاية المسلمين الجدد، د. محمد المشوح، ومعالن في دعوة غير المسلمين، د. عبد الرحمن اللويحي، بحث منشور في مجلة دراسات إسلامية 7/ 1425هـ، وأصول الدعوة، للدكتور عبد الكريم زيدان، وهو مؤلف قيم في بابه.

(2) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، ص 282.

(3) المرشد في كتابة الأبحاث، ص 43.

(4) مقاييس اللغة 2/ 279، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 2/ 121، لسان العرب 14/ 258.

(5) الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد ص: 21.

(6) اختلف العلماء في الدعوة إلى الله هل تجب على الكفاية أو التعيين، وارتضى المحققون أنها تجب بالكفاية، فإذا قام بها بعضهم سقط الإثم عن الباقي، لكن تجب على التعيين في الأشخاص الذين تستدعي الحاجة تبليغهم للإسلام. ينظر: أحكام القرآن للجصاص 2/ 315، أحكام القرآن لابن العربي 1/ 383، مجموع الفتاوى 15/ 166.

(7) أحكام القرآن 4/ 154.

(8) صحيح البخاري 4/ 170 ح: 3461.

(9) صحيح مسلم 4/ 206 ح: 2674.

(10) انظر: سيرة ابن هشام 2/ 651، فتح الباري 8/ 135.

(11) الموافقات 5/ 172.

(12) مجموع الفتاوى 20/ 59.

(13) تقدم الحديث قريباً.

(14) صحيح البخاري 4/ 47 ح: 2942، صحيح مسلم 4/ 1872 ح: 2406.

(15) تشير دراسة ميدانية أجراها الدكتور عبد الله بن إبراهيم اللحيانان أن 60% من الجاليات غير المسلمة في مدينة الرياض اعتبرت أن الصلاة هي أكثر الشرائع التي لفتت انتباهها وتركزت في نفسها انطباعاً مؤثراً عن الإسلام. دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض 2/ 296.

بالإستعانة وعد عوض ألقى وما بمعنى في وعن بها انطق

ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 3/ 19-22، أوضح المسالك لابن هشام 31/3.

(36) قال الحافظ ابن حجر: "رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وأبو عوانة والدارقطني وابن حبان والبيهقي من طريق الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، واختلف في وصله وإرساله، فرجح النسائي والدارقطني الإرسال". التلخيص الحبير ط قرطبة (3/ 315)، قلت: المصادر التي أشار إليها ذكرت الحمدلة بدل البسملة، وأسند الحديث بلفظ البسملة السبكي في طبقات الشافعية 12/ 1.

(37) تفسير القرطبي 98/1.

(38) انظر: تفسير الطبري 1/ 121.

(39) تفسير القرطبي 1/ 102.

(40) انظر: أوضح المسالك لابن هشام 213/3.

(41) انظر: تفسير القرطبي 1/ 106.

(42) بدائع الفوائد 1/ 24، وأشار لهذا المعنى القرطبي في تفسيره 1/ 105.

(43) فتح الباري 8/ 220.

(44) فتح الباري 8/ 220.

(45) انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم 1/ 421.

(46) فتح الباري 1/ 38، وانظر: اختلاف أهل العلم في تحية المشركين في: شرح النووي على صحيح مسلم 12/ 110، شرح الصحيح لابن بطلال 9/ 41، أحكام أهل الذمة 1/ 409.

(47) الجوك: اسم لألة موسيقية، وقد تسمى الجوق أيضا. تكملة المعاجم العربية 236/2.

(48) انظر: أحكام أهل الذمة 1/ 418-419.

(49) فتح الباري لابن حجر 1/ 38، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي 12/ 110.

(50) انظر: سنن البيهقي 10/ 303، سيرة ابن كثير ص: 325، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص: 92.

(51) وقد جاء التصريح بلفظ النصيحة في رسالة النبي ﷺ إلى ملك الحبشة، ونصها: "...فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى". انظر: مجموعة الوثائق السياسية ص: 99 وما بعدها.

(52) انظر: سنن البيهقي 10/ 303، سيرة ابن كثير ص: 325، مجموعة الوثائق السياسية ص: 93.

(53) من أسماء الله تعالى الضار النافع، غير أن الضر والشر لا يضافان إليه سبحانه بل إلى مخلوقاته أدياً واحتراماً له جل جلاله، يقول العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله: "النعيم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبره كرمه، ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه، وأما العذاب والعقوبة فإنما هو من مخلوقاته، ولذلك لا يسمى بالمعاقب والعذب، بل يفرق بينهما، فيجعل ذلك من أوصافه وهذا من مفعولاته حتى في الآية الواحدة كقوله تعالى: {تَبَيَّنَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} [الحجر: 49-50]" حادي الأرواح ص: 374.

(54) اختلف العلماء في معنى الأريسين، فقيل: هم الفلاحون، وقيل هم الأجراء والخدم، وقيل: هم أتباع عبد الله بن أريس وكان قد ابتدع فيهم ديناً، وقيل هم الملوك الذين يخالفون أنبياءهم، وقيل: هم عامة الرعية، وهذا القول الأخير أظهر، ينظر: فتح الباري 1/ 39، 77.

(55) انظر: شرح مشكل الآثار للطحاوي 5/ 229.

(56) اختلف العلماء هل يدخل في هذا الأجر جميع أهل الكتاب أم الموحدون منهم فقط، قال ابن حجر: وظاهر كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يقتضي العموم، فإن هرقل كان على النصرانية المبدلة لا على ملّة التوحيد، والله أعلم. ينظر: فتح الباري 1/ 191.

(57) انظر: المعجم الكبير الطبراني 6/ 245، والمعجم الأوسط له 7/ 336، وفتح الباري 1/ 191.

(58) المحرر الوجيز لابن عطية 1/ 449.

(59) صحيح البخاري 4/ 186-3535.

(60) في دراسة ميدانية أجريت في مدينة الرياض، بينت إحصائياتها أن حوالي 87.2% من المدعوين يؤمنون بالبعث بعد الموت. انظر: دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض، د. عبد الله اللحيدان 2/ 532.

(61) ذكرها ابن تيمية في مجموع فتاويه 15/ 160.

(62) انظر في هذا كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية 3/ 182، 299.

(63) انظر: مجموع الفتاوى 15/ 159-160، 16/ 44، أضواء البيان 1/ 376-381.

(64) انظر: دلائل النبوة للبيهقي 2/ 309، سيرة ابن إسحاق ص: 228، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (ص: 100).

(65) انظر: تفسير القرطبي 4/ 135، تفسير الطبري 6/ 10.

(66) انظر: صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري 8/ 224.

(67) انظر: أضواء البيان للشنقيطي 1/ 370-371.

(68) تقدم تخريجه وانظره في: مجموعة الوثائق السياسية ص: 93.

(69) من أشهر المؤلفات في هذا الباب: (موقف العلم والعقل من رب العالمين وعبادة المرسلين) للعلامة مصطفى صبري، وكتاب (العلم يدعو إلى الإيمان) للمؤلف كريسسي موريسون، و(موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة) للدكتور محمد راتب النابلسي، وكتاب: (دليل مصور ومختصر لفهم الإسلام) لإبراهيم أبو حرب، وكذلك سائر إصدارات هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة التابعة لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(70) انظر في هذا الفن كتاب مفتاح العلوم للسكاكي ص: 277، جواهر البلاغة ص: 195.

(71) شرح صحيح مسلم 12/ 108.

(72) فتح الباري 1/ 39.

(73) مفاتيح الغيب 24/ 554.

(74) قال ابن حجر: "قوله: لقد أمر بفتح ثم كسر أمر ابن أبي كبشة أي عظم، يقال أمر القوم إذا كثروا، ومنه: «لقد جئت شيئاً إمراً» [الكهف: 71]، أي عظيماً قال: "وابن أبي كبشة أراد به النبي ﷺ لأن أبا كبشة أحد أجداده وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض، قال أبو الحسن النسابة الجرجاني: هو جد وهب جد النبي ﷺ لأمه، وهذا فيه نظر: لأن وهباً جد النبي ﷺ اسم أمه عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال، ولم يقل أحد من أهل النسب إن الأوقص يكنى أبا كبشة، وقيل هو جد عبد المطلب لأمه، وفيه نظر أيضاً: لأن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجي، ولم يقل أحد من أهل النسب إن عمرو بن زيد يكنى أبا كبشة، ولكن ذكر ابن حبيب في (المجتبى) جماعة من أجداد النبي ﷺ من قبل أبيه ومن قبل أمه كل واحد منهم يكنى أبا كبشة، وقيل: هو أبوه من الرضاعة، واسمه الحارث بن عبد العزى، قاله أبو الفتح الأزدي وابن ماکولا، وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن أبيه عن رجال من قومه أنه أسلم وكانت له بنت تسمى كبشة يكنى بها، وقال ابن قتبية والخطابي والدارقطني: هو رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الأوثان فعبد الشعري، فنسبوه إليه للأشتراك في مطلق المخالفة، وكذا قاله الزبير، قال: واسمه جز بن عامر بن غالب." فتح الباري (1/ 40، 81).

(75) المقصود بهم الروم ينظر: فتح الباري 1/ 40.

المراجع

- 1- أبو بكر الجصاص، أحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي 1985م.
- 2- إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، تحقيق: مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط: 1/ 1997م.
- 3- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة.
- 4- ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية، ط: 1/ 1430هـ.

- 5- أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، ط: 2004/3م.
- 6- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1420/1 هـ 2000 م.
- 7- أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، بيروت.
- 8- إبي أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط: 1989/1م.
- 9- أحمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تحقيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية.
- 10- أحمد بن تيمية، تقي الدين، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة، ط: 1992/2م.
- 11- أحمد بن حنبل، المسند، مؤسسة الرسالة، ط: 2001/1 م.
- 12- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، دار الكتب العلمية، ط: 1419 هـ 1989 م.
- 13- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار المعرفة، ط: 1379 هـ.
- 14- أحمد بن علي بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: 1421/1 هـ 2001 م.
- 15- أحمد بن علي بن شعيب النسائي، عمل اليوم والليلة، تحقيق: د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، ط: 1406/2 هـ.
- 16- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط: 1979 م.
- 17- أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط: 1408/1 هـ.
- 18- إسماعيل بن كثير، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، ط: 1395/1م.
- 19- إسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) دار طيبة، ط: 1420/2 هـ.
- 20- جمال الدين ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر.
- 21- جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط: 1994/3م.
- 22- الحسين بن علي البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط: 1424/3 هـ 2003 م.
- 23- حلمي فودة، وعبد الرحمن صالح، المرشد في كتابة الأبحاث، دار الشروق، ط: 1992/6م.
- دلائل النبوة، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، ط: 1405/1 هـ.
- 24- رينهارت بيتر أن دوزي، كلمات المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام - العراق - ط: 200-1979/1م.
- 25- سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة.
- 26- سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة - الطبعة الثانية.
- 27- صالح العساف، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، ط: 2002/2م.
- 28- عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الكتب العلمية، ط: 1422/1 هـ.
- 29- عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية، تحقيق عبد الله الخالدي، دار الأرقم بيروت ط: 2.
- 30- عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكتاني عز الدين، المختصر الكبير في سيرة الرسول، سامي بن مكي العاني، دار البشير، ط: 1993/1م.
- 31- عبد الله الطوع، الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد، دار التدمرية، ط: 2004/3م.
- 32- عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض، رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في الرياض، مطبوعة على برنامج (word)، متوفرة على شبكة الإنترنت.
- 33- عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، ط: 1400/20 هـ.
- 34- عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ط: 1955/2م.
- 35- عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح الجلو، دار هجر، ط: 1413/2 هـ.
- 36- علي بن خلف بن عبد الملك المشهور بابن بطلال، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو نعيم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض، ط: 1423/1 هـ 2003 م.
- 37- علي بن محمد الخزاعي، تخریج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب، ط: 1419/2 هـ.
- 38- علي بن محمد الشريف الجرجاني. التعريفات، دار الكتب العلمية، ط: 1403/1 هـ 1983 م.
- 39- مجد الدين بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، ط: 1979 م.
- 40- مجموع الفتاوى، تقي الدين بن تيمية، إصدار مجمع الملك فهد، المدينة المنورة.
- 41- محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، ط: 1415/1 هـ.
- 42- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، دار رمادا - الدمام - ط: 1418/1 هـ.
- 43- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار عالم الفوائد مكة المكرمة، ط: 1425/1 هـ.
- 44- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، مطبعة المدني - القاهرة.
- 45- محمد بن أحمد القرطبي، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة - ط: 1384/2 هـ 1964 م.
- 46- محمد بن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، ط: 1978/1م.
- 47- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار طوق النجاة مصورة عن الطبعة السلطانية، ط: 1422 هـ.
- 48- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والأمم والملوك)، دار التراث، ط: 1387/2 هـ.
- 49- محمد بن حبان البستي، صحيح ابن حبان، (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: 1408/1 هـ.
- 50- محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط: 1411/1 هـ.
- 51- محمد بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان، ط: 1996/1م.
- 52- محمد بن عمر الرازي، فخر الدين تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث، ط: 1420/1 هـ.
- 53- محمد بن عمر الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) دار إحياء التراث العربي، ط: 1420/3 هـ.
- 54- محمد بن عمر الواقدي، كتاب الردة، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب، ط: 1410/1 هـ.

- 55- محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، ط: 1407/1 هـ.
- 56- محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي بيروت، ط: 1405/1 هـ.
- 57- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، دار المعارف، الرياض، ط: 1412/1 هـ.
- 58- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
- 59- نبيل بن منصور الكويتي، أنيس الساري تخريج أحاديث فتح الباري، دار السماحة، ط: 1426/1 هـ.
- 60- نوف بنت محمد الزير، دعوة غير المسلمات إلى الإسلام في مدينة الرياض، رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في الرياض مطبوعة على برنامج (word)، متوفرة على شبكة الإنترنت.
- 61- يحيى بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية.
- 62- يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط: 2 / 1392 هـ.
- 63- يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، ط: 1407/1 هـ.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

المؤلف عبد الحميد بن عبد السلام بنعلي ، (السنة 2020) الرسالة الدعوية أصولها وآدابها رسالة النبي ﷺ الى هرقل نموذجاً، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الصفحات. ص ص : 159-174